الدكتورة إنعام بيوض مديرة المعهد العالي للترجمة لـــ الثقافي

اللغة العربية ضحية المنظومة التربوية

تؤكد الدكتورة إنعام بيوض مديرة المعهد العالي للترجمة أن مشكلة اللغة العربية أننا جعلناها أداة للمزايدات السياسية والحملات الظرفية، والخطأ ليس في القيادة السياسية لوحدها بل فينا نحن كمثقفين أيضا، حيث جعلنا منها كرة يتلاعب به السياسيون، مضيفة أنه يمكن أن نراهن على الترجمة لردم الفجوة المعرفية، لكن في من الأسهل أن نعلم كل الجزائريين لغة أجنبية على أن نترجم إلى لعربية ونوصل المعلومة بها.

■ حاورها : ابن الزيبان

●● صرحتم مؤخرا أن وضعية اللغة العربية في المدارس العربية كارثية، ما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك؟.

● الأسباب كثيرة، هي تقاعسنا في اعتماد اللغة العربية في حياتنا، في تفكيرنا في كتاباتنا، نحن نلاحظ في المدرسة العربية أيضا– وسأتكلم عن المدرسة الجزائرية لأنني عشت تجربة تعليم اللغة العربية، وعشت فترة القطيعة– أنه في السنوات الأولى من التعليم نرى التلاميذ يرتادون المدرسة، ويحفظون أشياء في هذه المدرسة، اللغة العربية مرتبطة بلغة الحسم آي أن تقول هذا و لا تقول ذاك، أنا أذكر أن ابنتي جاءت مرة وقالت لي: عوض أن أكتب قد أصابه ضر، كتبت قد مسه ضر، والمعلمة وضعت لي الصفر، انظروا إلى هذه الطريقة التي نتعامل بها وهذا برأيي راجع أولا إلى نقص التكوين لدى المعلمين، وأيضا قصور بعض الكتب المرجعية، كتب اللغة العربية، كتب الدراسة في أية لغة كانت، نأخذ كتاب القواعد مثلا في السنة الثانية أو الثالثة يجب آن تكون هناك منهجية في طريقة التحضير، فلابد في السنة الأولى أن يكون هذا الكتاب يحتوي على 200 كلمة، بعد ذلك في السنوات الأخرى يزداد عدد الكلمات نظرا لازدياد مدارك التلاميذ، والتدرج في الانطلاق من مبحث إلى مبحث ومن باب إلى باب، ومن مدخل إلى مدخل لغوي يتم من خلال ترابط بعض العوامل المرتبطة باللغة والتي تسمح للتلميذ أن ينتقل ويستوعب، كلما كبرت واتسعت مداركه باللغة، وكلما زادت مداركه في هذه اللغة، المشكلة عندنا أنه يحدث العكس، أي أن التلميذ يبدأ بذهن متفتح جدا، قادر على استيعاب مدركات تجريدية ولكن كلما يكبر كلما يضيق حيز هذا الإدراك وتضيق أبواب في ذهنه.

عندما نقرأ كتب القواعد نجد أنها كتب عويصة ومستعصية على الأطفال، لا تشجعهم على حب اللغة لأنك تحب ما هو ميسر ولا تحب ما هو معسر، هذه المسألة عادية بالنسبة لتكوين الأطفال، بعد ذلك يصل الطالب إلى المرحلة الإعدادية، وهنا تبدأ مرحلة دراسة اللغات الأجنبية الأخرى، وبمجرد أن تدخل هذه اللغات يرى التلاميذ كل الإمكانيات متاحة للقراءة من كتب متوفرة، ووسائل إيضاح، وكتب موازية للكتب المدرسية على قدر كبير من الجاذبية، وأيضا مخصصة لكل شريحة معينة من الأعمار. إذا كان طفلك له 8 سنوات تجد كتبا مناسبة لسنه، اذهب أنت إلى المكتبة وابحث عن كتاب عربي في هذا الصدد، فلا تستطيع أن تجد مثلا كتابا عربيا في اللغة العربية موجها مثلا لشريحة الأطفال، نرى أن المتوفر في الكتب بالنسبة موجه للصغار (5 سنوات)، بعد ذلك تجد قطيعة تامة، ثم تجد كتبا بالنسبة للسنوات 10، و11 وبعدها يجدمن هم اكبر من هذا السن غيابا تاما للكتب.

ومن خلال تجربتي المريرة هو أنه في سن الحادية عشرة، كنت بالكاد أعثر على كتاب يشجع أبنائي على قراءة اللغة العربية، الأمر مؤسف لأنك تضطرهم أن يقرأوا جبران خليل جبران وهذا مستواه أكبرمن سنهم. وللأسف لا يوجد عندنا ما يسمى بأدب الأطفال، أو الكتابة للأطفال، الكتابة للأطفال لا يجب أن تكون أدبية، يمكن أن تكون في الفكر أو في أفكار مبسطة، في الحس المدني، في التعامل مع المحيط، في كيفية التعايش، في غرس المحبة في نفوس الأطفال، هناك مواضيع كثيرة تهم الصغار والناشئة عندنا ولا نهتم بها، فبرامجنا فيها نوع من التقشف الصارم ف هذا المجال مع أن اللغة العربية في منتهى الجمال، تصور أنك يمكن أن تقول شيئا وتعيد نفس الشيء بعشرين مرة مختلفة، وكل طريقة أجمل من سابقتها، اللغة العربية ليست في حاجة لأن نقوم لها بدعاية، وأنا لا أتكلم بمنطق شوفيني، إن هذه اللغة التي عاشت عشرين قرنا ومازالت محافظة على كيانها وبنيتها، هي لغة يقول عنها البعض أنها لغة ربانية ليبدي إعجابه ويبرر استمرارها عشرين قرنا من الزمن، اعتقد أنه علينا الآن أن نقدر هذا المسار الطويل والمضني الذي مرت به اللغة العربية، وأن نقيمها حق قيمتها، وأن نعطيها حق قدرها الآن، وأن نبدأ بدراستها، وتيسير تعليمها للصغار والكبار.

نساهم في عاصمة الثقافة بغية اكتشاف مترجمين

في الجزائر لا يوجد مركز لتعليم اللغة العربية ومن إحدى الأفكار التي طرحها المعهد –عندما نحصل على مقر– هي أن نفتح قسما لتعليم اللغة العربية للناطقين ولغير الناطقين بها، لكل من يود أن يتعلم هذه اللغة ويكتشفها على حقيقتها.

●● ربما يعود إلى الغياب إرادة سياسية ؟

● إذا كان العيب هنا فقط، فلماذا كانت اللغة العربية تعاني في كافة الأقطار العربية، أنظر إلى سوريا مثلا، والتي كانت المنارة التي تستقي منها اللغة العربية، والتي أنجبت أيضا فطاحل هذه اللغة، اللغة العربية في تقهقر بالنسبة لكل البلدان العربية، إذا كان الأمر مجرد فكرة سياسية، مجرد قصور في البرامج السياسية، هذا أكيد لأن العالم العربي يعيش أزمات من القهر النفسي: نكسة حزيران، حرب العراق، الغزو اللبناني، أزمة فلسطين، نحن نشعر بحالة تواتر وتكرر لهذه الأزمات، كما نشعر أننا كلنا غلط، لماذا كل هذه الهزائم، هذا السؤال يتبادر إلى ذهن أي مفكر أو إنسان عادي، لِم نحن مبتلون؟ أهي اللغة؟ أهي شخصيتنا؟ أين العيب فينا؟ ما الذي يجعلنا نجتذب الإحباط ونجعله سمة لحياتنا، إن هناك قصورا سواء في السياسات التنموية في الوطن العربي، أو في الجانب البشري، ما هو الموضع الذي يستحق أن نوليه الاهتمام الذي ينبغي أن يولى، كنا نعيش على الشعارات، سوف نحارب في فلسطين، وسوف ندخل إلى كذا وكذا، وسوف، وسوف، إن هذه السوف لم ترافقها خطوات عملية وبرامج تنموية حقيقية. ليست برامج موضوعة في مخططات خماسية أو رباعية أو اقتصادية، دون أن يكون لها ركائز على أرض الواقع .

نحن هنا الآن نقول أن سياسة التعليم فشلت لأنها كانت قائمة على أساس استعجالي، كانت حملة استعجالية، صحيح إننا خرجنا من قضية استيلاب لغوي واستلاب قضية، بعد الاستعمار كانت الجزائر عبارة عن قمقم ولكن هذا القمقم بحاجة إلى مارد، لقد كانت الجزائر في حالة من الغليان والحماس الوطني ، وكلنا كنا مستعدين لأن نبني. جاءت هذه السياسات المتلاحقةفي التعليم ، وطبعا في بداية التجارب الأولى يمكن لهذه السياسات أن تخطىء مرة أولى وثانية وثالثة ورابعة، ولكن من المفروض أن نتوقف وننظر إلى الوراء ونقوم بعملية حوصلة ومراجعة لما قمنا به وأن نخطط ، مشكلتنا هي أن يصدر قرار يمنع التحدث أو المراسلات الإدارية باللغة العربية ، ما الذي حدث بعدها لا شيء، الآن الذي يكتب طلب وظيفة يفضل كتابته باللغة الفرنسية ليكون له حظ أكبر.

المشكلة هي أننا جعلناهذه اللغة آداة للمزايدات السياسية، ولم نستغلها ، والخطأ ليس في القيادة السياسية ، الخطأ فينا نحن كمثقفين، السلطة لها دورها في هذا الموضوع ، ولكن نحن أيضا يجب أن نلعب دورا في عدم جعل هذه اللغة تنحدر مانحدارا فكريا ، وأن لا نجعلها كرة يتلاعب به السياسيون، من مسؤولية المفكرين أن لا يتقوقعوا. مَنْ من كُتابنا كتب للأطفال مرة واحدة، أذكر لَي اسما، أن تحيي لغة معناها أن تبدأ بالناشئة، فحتى على المستوى العربي هناك كاتبان اثنان فقط للأطفال، سليمان العيسى، وعبد التواب يوسف، وهذا أمر خطير ومؤسف، مؤسف أن لا يشعر أي مثقف عربي أنه مسؤول عن نشء، وأنه وإن كان يعبر عن أفكاره ويصدر أفكاره فإن لديه مسؤولية، فإذا كان لا يعرف الكتابة عليه أن يشكل تجمعات أو نوعا من الجمعيات للاهتمام بالطفل، أنا أقول لا نستطيع أن نغير شعبا إذا لم نهتم بأطفاله، أما عندما يأتيك متخرج من الجامعة تم تكوينه بطريقة خاطئة ماذا تستطيع أن تفعل حينها ؟ أن ترقع الصدوع؟ اعتقد أن الترقيع أصعب أحيانا، لأنك عندما تكوّن نصف مثقف يكون أخطر من الجاهل، فالجاهل يمكنه أن يقر بجهله، أما نصف مثقف فبإمكانه أن يقدم أفكارا زائفة، وأن يقوم بتصورات مغلوطة تؤثر في محيطه وينشأ أولاده عليها.

الجزائر قمقم بحاجة إلى مارد

●● ومن حكم موقعكم ما مدى إسهام حركة الترجمة في تطوير اللغة؟

● أنا أربط عملية تطوير اللغة بحركة الترجمة، ففي لبنان مثلا الذي يترجم ثلاثة أرباع ما يترجمه العرب، ــوعلى الرغم من أن الترجمات ليست جيدة في مجملها– إلا أنك تشعر فيه بوجود حركة، هناك رغبة حقيقية في إيصال المعلومة باللغة العربية، في الجزائر قمنا بإحصاء –رغم صعوبة الثقة في الأرقام– فوجدنا عدد ما يترجم ضئيلا مقارنة بالحاجة إلى ذلك، لأنك عندما تترجم فإنك تقوم بصناعة محتوى جديد.

عملية صناعة المحتوى الجديد، نحن لا نصل فيها حتى إلى ربع ما هو مطلوب، لأن المترجم الحقيقي له شغف حقيقي في أن يوصل المعلومة إلى أمته، من منا مسكون بهذا الحرص، أنظر إلى حالة المعهد العربي للترجمة، منذ ثلاث سنوات ونحن نكافح من أجل الحصول على مقر.

●● هل يرجع هذا إلى الفقر المعرفي في مجال الترجمة عندنا؟

● الثغرة المعرفية ليست قدرا محتوما ، بل يمكن أن نتجاوزها شيئا فشيئا، إذا كنا غير صانعين للمعرفة، فعلى الأقل لنكن مستهلكين لها بلغتنا، هل تتصور أنه من الأسهل أن نعلم كل الجزائريين لغة أجنبية على أن نترجم إلى اللغة العربية ونوصل المعلومة بها، نحن طبعا نحلم، وحلمنا أن يتقن كل جزائري كافة اللغات، وأن يكون أساسا متمكنا من ناصية اللغة الأم، وهو من أهم المقومات الشخصية، أنظر إلى الأدباء الجزائريين الذين يتقنون اللغة الفرنسية، لقد كانت منفاهم، وجعلتهم يعيشون في قطيعة مع الكتابة، فما الذي يدعوني إلى الوصول إلى الحالات القصوى في حين أنه بيدي أن أكوّن مجتمعا يتكلم لغته، ويعبر عنها.

عندما نحضر مؤتمرا دوليا، نرى أن المندوبين العرب يودون أن يظهروا عضلاتهم في اللغة الأخرى، على الرغم من أن اللغة العربية هي إحدى اللغات الخمس المعتمدة في الأمم المتحدة، وأن هناك ميزانية مخصصة لذلك.هل هي رسالة بالنسبة للآخر تدل على أننا لا نثقف في لغتنا الأم، وهي أيضا تعبرّ عن عقدة نفسية.

في قضية اللغة العربية، في كل المجتمعات حتى في فرنسا مثلا، هناك نوع من التكامل بالنسبة للغات الأخرى، مازالت لهم مشاكل في سيطرة اللغة الانجليزية، ومازال الفرنسي يدافع بشدة عن لغته الفرنسية، كما أن الحكومة الفرنسية تصرف أموالا طائلة لنشر اللغة الفرنسية، وهذا حق، في هذا الموضوع هل هذا سر عميق لا نستطيع أن نفهمه، لماذا لا نقوم نحن بنفس الشيء مع لغتنا في بلادنا، وهو أقل ما يمكن تقديمه، هناك دراسات تثبت أن الذي يتعلم بلغته الأم له مقدرة أكبر على الاستيعاب، والحفظ واستمرار تخزين المعلومات في ذهنه، وتطويرها.

●●●

... على منتقدي تظاهرة "الجزائر عاصمة الثقافة العربية" تقديم البديل

مثلا هناك من يتحدث عن الأطباء في المشرق وخاصة في سوريا، حيث كانوا يرسلون لمتابعة الدراسة في أمريكا،واليوم نجد أن أكبر أطباء الهيئة الأمريكية هم من سوريا وتفسير ذلك أنهم تلقوا المعارف بلغتهم الأم، وعندما ذهبوا إلى أمريكا صقلوا علومهم باللغة الأجنبية وبرعوا فيها.

●● مثل رفاعة الطهطاوي الذي ساهم في نهضة الأمة لأن إرادة سياسية كانت تقف وراءه.

● كانت هناك إرادة سياسية وراء رفاعة الطهطاوي، وعليه يجب أن تكون هناك إرادة سياسية، إرادة في التغيير، للقضاء على الصعوبات لا أن نخلقها، المجتمع المدني لا يستطيع أن يقوم الآن على خلاف ما ساد في عهد المأمون، حيث ساهم المجتمع المدني في حركة الترجمة، كانوا الموصليون يرسلون قوافلهم وأشخاصا ليأتوا بأنفس كتب بيزنطا ويترجموها، لأنهم رأوا أن السلطة كانت المبادرة فتشجعوا، حاليا نلاحظ كثرة المؤسسات التي تنادي بتشجيع الترجمة، ولكن عندما تراسلهم لا يأتيك رد، وكأنها حملات دعائية فقط، أنا لا أخجل من التكرار وإعادة المحاولة، ومن الكبة ثم الهبة، وبالتالي فأنا أراسلهم جميعا، لكنني لا أتلقى إجابة. وهذا السبب يجعلك تشعر بنوع من الخيبة، من المستفيد من هذه المحاولات في آخر المطاف؟ هناك جوائز تعرضن ونحن راسلناهم جميعا لكن لارد منهم حتى الآن، ربما في المستقبل القريب:

مثلا أنا كنت قد اقترحت باسم معهد الترجمة في مؤتمر الترجمة الذي عقد في بيروت في إطار مؤسسة الفكر العوني، إنشاء صندوق عربي للترجمة، نحن ننشىء صناديق لدعم كذا، وكذا، فلم لا نفتح صندوقا عربيا تظهر فيه كل الأموال التي تريد أنَ تظهر بشكل شخصي ونرسلها لبعض حركات الترجمة لدعمها وإدخال المترجم في دائرة الاحترافية التي تعتبر في غاية الأهمية، أن يكون هناك من يعي ما معنى أن يدخل المترجم مرحلة الاحترافية، بمعنى أن يعيش عيشة كريمة من وراء ترجمته، الآن لا أحد يستطيع أن يترجم، أنا شخصيا لا أخفيك القول لو يطلب مني أن أترجم، فلن أفعل لأنه عمل مضن يستهلك وقتا و جهدا بلا مقابل، وأحيانا تترجم و لا تجد من ينشر، وأحيانا تترجم كتابا ثم تجد من ترجمه في جهة أخرى ، لأن التنسيق بين الجهات المترجمة غائب، وقد اقترحنا في المعهد إنشاء لجنة استشارية تكون مكونة من شخصيات بارزة في مجال الأدب و الفكر والعلم، وأن تضع هذه اللجنة أولويات الترجمة، يجب أن تتضمن شخصيات من كل دولة عربية وكل دولة تحدد أولوياتها، ويتم من خلالها إنشاء برامج ترجمة عربية قطرية، لكنها في الوقت ذاته تصب في اهتمام قومي واحد، نحن في العالم العربي مصيرنا شئنا أم أبينا واحد، والأطماع التي تحيط بنا شئنا أم أبينا تأتي من مصدر معين، وتستهدفنا جميعا، ونحن الآن العدو اللذوذ للحضارة الحديثة، وكأننا أهل التخلف، مع أننا نحن الذين أظهرنا لهم النور، هم كانوا في جهالة تامة وفي ظلام دامس ونحن كنا أصحاب الفكر، فهل يعني ذلك أننا محكوم علينا أن نكون كذلك طول حياتنا ،طبعا لا، من المفروض أن يكون لنا نوع من ردة الفعل حتى البيولوجي.

●● وما هو دور المجالس والمجامع في حماية اللغة العربية وتطويرها؟

● شيء رائع أن يكون لكل دولة مجمع لغوي لرصد حالة اللغة العربية، أي أن تكون لك سماعة ترصد من خلالها حالة اللغة العربية، وتعمل على إدخالها في كل مجالات الحياة وتواكب التطورات العلمية، وتجعلها تعيش عصرها، وتخرجها من السبات، الآن المجامع مازالت مختلفة في هل نقول هذا أم ذاك، هل ندخل الخطأ الشائع في اللغة أم نجعله نشازا ونخرجه منها، وحتى منشوراتها، المفروض أن تكون لها إصدارات دورية تؤخذ بعين الاعتبار عند تحضير البرامج التربوية والمناهج، لكن مناهجها لم تتغير منذ عشرين عاما، وهذا معناه أن هذه الإصدارات لا طائل منها، أصلا هذه الإصدارات لا تصل حتى إلى المهتمين، فعندما التقيت برئيس المجمع الملكي الأردني وطلبت منه أن يبعث لي بمنشوراته ، بعث لي بكمية ولكن توقف، ومن المفروض أن تجعل هذه المؤسسات من المؤسسات الجامعية عناوين أكيدة ورئيسية وأن ترسل لها باستمرار،وحتى بقية الوزارات.

●● وما هي الخطة التي يساهم بها معهد الترجمة في فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية ؟

● نحن في البداية دخلنا في التظاهرة التي تعد فكرة رائعة، نحن دخلنا كطرف تقني، وقد تكفلنا بجانب الترجمة كونها اختصاص المعهد ،أردنا أن نقوم بنوع من سبر الطاقات الترجمية الموجودة في الجزائر، ما هي مستوياتهم، من يترجم، ما درجة تكوينهم.

لقد قمنا بهذا العمل، وقمنا بتجارب أولية وقد تعاملنا حتى الآن مع 60 مترجما، والتجربة كانت مفيدة جدا بالنسبة للمعهد والجزائر، لأن هناك أسماء سوف تبرز، ثانيا من حيث البدء بخطوة نحو احترافية المترجم، نحن كمعهد لا نود أن يعامل المترجم معاملة الكتبة، لذلك حاولنا أن نرفع من السعر الذي يتقاضاه من مؤسسات النشر، تصور أن سعر الترجمة للصفحة في الجزائر من الناحية الرسمية لم يتغير منذ عشرين سنة،هل هذا معقول من عشرين سنة الصفحة بـ 120 دينار، ولا تزال لحد الآن.

وللتغلب على هذا المشكل هناك مؤسسات عمومية حين تطلب منا أن نترجم لهم يطلبون من زيادة ة عدد الصفحات، ولكن أنا كمؤسسة لا أستطيع أن أعطي فاتورة بعدد صفحات محدود، وأحيانا نرفض عروضا من هذا النوع لأنهم لا يستطيعون أن يدفعوا حتى السعر المعتمد.

●● في مجال الكتابة هل تعاني المرأة المبدعة في الوطن العربي من بعض الكبت والقيود؟

● الإبداع النسوي في العالم عاش فترات من الحصار، إذا كانت سويسرا اعترفت بحق انتخاب النساء عام 1962، ونحن مازلنا نتكلم عن الكويت، عندما نأخذ التاريخ الفني في العالم من عصر النهضة إلى الآن نجد أن عدد المبدعات كان قليلا جدا، حتى في فترات الغليان في نهاية القرن 18 وبداية 19 و20، كان هناك تطور كبير في الفن، حيث دخلت عناصر جديدة وأفكار فلسفية جديدة وظهرت مدارس متنوعة، في هذا الوضع ظهرت أسماء نسوية قليلة، وهو راجع إلى عصور طويلة من التراكمات والتفكير الذكوري الذي ميز الفكر العالمي لفترات معينة، نحن عشناه بشكل أكثر وطأة لأن هذا التفكير الذكوري رافقته حالة من الجمود الفكري والانحطاط عاشته اللغة العربية والفكر العربي، وهو ما ساعد على قهر المرأة ولم يجعلها تتمكن من تفتيق كل إمكانياتها الإبداعية، الآن كل الظروف تتاح، وفي هذا الوضع لا يمكن القول أن المرأة المبدعة غالبا ما تكون مبدعة في الفن وغيرها وتكون لها إمكانيات تعبير، الآن هذه الإمكانيات متاحة ولكن لا يزال الجهل ونسبة الأمية عندنا مرتفعة جدا، والنساء اللاتي يقعن تحت هذه الظاهرة تكون فرصهن في الإبداع ضئيلة، لكن بالنسبة للمتعلمات هناك نوع من المساواة، شيء آخر زاد من مسألة الإبداع النسوي هو حصرها في الإبداع النسوي، بعيدا عن الإبداع العالمي، الإنسان سواء أكان امرأة أم رجلا أم طفلا عندما يبدع فإنه يبدع من زاويته، ولكن في الوقت ذاته يقدم إبداعا إنسانيا، ولا يمكن أن نضعه في خانة معينة، فهل نسمي الإبداع العالمي إبداعا رجاليا، نحن نعطيه هذه الخصوصية، ربما من باب الرحمة حتى نشفق، لأنه لا يرقى للإبداع العالمي.

كتبت قصيدة على طاولة الولادة

مارغريت يوسران دخلت إلى الأكاديمية الفرنسية وكتب روائع في الأدب الفرنسي ولم نصنفها ضمن الأدب النسوي في فرنسا، أنا أعتقد أن حصر الإبداع النسوي في خانة معناه تضييق الخناق عليه، رتبة إبداع من الدرجة الثانية. الأدب هو أدب مهما كان مصدره.

●● وهل هناك متاعب سياسية تواجه المبدعات؟

● نحن نعيش أزمة ديمقراطية في العالم العربي، نخاف من الكلمة رغم أنها هي التي تطور الفكر وتفسح المجال لصقل الأفكار وتنويعها، كلما زاد عدد الكتب المنشورة كلما ساعد ذلك في نهوض الحركة الفكرية والأدبية، لأن هناك ما يسمى بالترسيب من الكم الهائل سيخرج الأفضل والثمين، لا بد أن نفسح المجال للجميع للتعبير عن آرائهم في كل مستويات الإبداع، وأنا اعتقد أن هذا متعلق بالضغوطات التي نتعرض لها مثلا الكاتبات الإيرانيات أو الأفغانيات.

وهناك أيضا مسالة الدعاية لأن الغرب لديه هذه الملكة وهو أنه يخرج إحداهن من سباتها وغفلتها لتصبح كاتبة عظيمة، مع أن هناك كثيرات معها يعبرن ويشاركن. المبدع الحقيقي هو الذي لا يثنى له عضد ويستمر ويثابر لتنصفه أجيال الغد. فهدف الكاتب الحقيقي ليس الخلود ولكن الخروج بالشيء ومحاولة تغيير شيء ما، ولو كان طفيفا، مثلا أنا أحاول أن أغير ولو حتى محيطي.

●● إلى أي مدى حققتم أهدافكم الإبداعية؟

● في رصيدي الآن ثلاثة كتب هي خلاصة نوع من النضج، أنا لا أشعر أنني كتبت الكتاب الذي أريد بعد، لحد الآن لم أقل كلمتي، لدي أشياء أخرى أقولها لم أقلها بعد ، سواء من حيث الفكرة أو الشكل أو اللغة، هناك نوع من اللغة السينمائية التي أحبها كثيرا والتي أريد أن أدخلها ،أنا أريد أن أكتب سيناريو فيلم لأني أرى الأحداث كمشاهد الكتابة عندي هي لحظات قوية فيها كل شيء، كأنها لوحة فيها الضوء، الإنارة ، الألوان، درجة الكثافة العاطفيةوالفكرية، ودرجة الاحتدام الفكري، كأنك عندما ترى لحظة ما تمر عليها ثم تعيد نفس هذا المنظر في صورة فوتوغرافية حية، لتنظر إلى نفس هذه الصورة من جوانب متعددة وكل جانب منها يمكن أن يكون جانبا مضيئا.

الكتابة شيء سحري، الكبت الوحيد الذي أعانيه الآن هو أنني لا أملك وقتا ماديا للكتابة لأن المعهد يستهلك كل وقتي تقريبا، إضافة إلى الأبحاث الأكاديمية أنا بصدد تحضير كتاب عن الترجمة سيصدر قريبا إن شاء الله ، كما أني بصدد مشروع كتاب آخر للطلبة ، وهذا يستنفذ كل وقتي، ولكني أشعر بأن كل هذه الفرص ستكون أكثر فائدة ولو لفئة معينة حتى على المدى البعيد، أنا لا أهتم كثيرا بالخلود، حتى لا أخذ نفسي محمل الجد كروائية، كاتبة وأديبة ، ولكني لا أنتظر من هذا تقريرا، أنا أكتب لأني أعبّر عن حالة معينة وهذه الحالة صادقة في غالب الأحيان، أنا لا أنشر إلا ما كان صادقا مائة بالمائة، ولغتي سليمة، فإذا كان لا يروق للبعض هذه مسألة أذواق، أنا لا أقول أنني روائية أو أديبة وأنا لا أقدم نفسي على هذا الشكل، بل على العكس أنا أخجل من هذه التسميات، ربما سوف أصل إلى هذه المرحلة عندما يكون ورائي 25 كتابا أو رواية، قد لا يسعفني الوقت، وقد لا يكون لي من العمر لذلك، وحتى عندما تقرأ أدبا عظيما تشعر بعدم جدوى الكتابة، عندما أقرأ للعمالقة في الأدب أقول فليكسر كل منا قلمه، ولكن بما أن التجربة الإنسانية تحتمل التكرار فلماذا لا أعبر أنا، قد أجد من يقرأ لي والذي يقرأ لي قد لا يستطيع أن يلج إلى عوالم أدونيس مثلا، والكتابة هي محاولة نرمي بها إلى الكون، قد تجد صدى وقد يترد عليها الصدى.

●● هل تفضلين الكتابة في لحظات الفرح أو القرح؟

● الانفعال هو الذي يخلق لدي حالة الكتابة وأيضا الحالة الجمالية القصوى، فمثلا عندما أرى لوحة قد أذرف دموعا أو عندما أرى مشهدا مسرحيا قد أذرف دموعا، هذه الحالة تدخلني في حالة كتابة، أنا لا أكتب في المناسبات ولكن مثلا في حرب لبنان عشت هذا الاعتداء المجحف في حق هذا الشعب المغامر خاصة وأن لي أصدقاء هناك، وكلما كنت أسمع ضربة أحسها في جسدي، وقد خرجت مني قصيدة واحدة ، فلسطين التي أعيشها ككل عربي كجرح دام كتبت فيها قصيدتين، صورة محمد الدرة جعلتني أكتب.

في حالة الفرح مثلا أثناء مولد ابنتي وأنا على سرير الولادة جاءتني قصيدة، ولكن هناك أيضا من يقول أن محمود درويش يدخل إلى مكتبه على الثامنة صباحا ويخر بعد الظهر ويكتب ويكتب، فهو يملك برنامجا معينا والفنان محمد خدة رحمه الله كان يدخل مرسمه على الساعة الثامنة صباحا ويخرج منه على الساعة التاسعة مساء، الإبداع عمل يومي ومسعى نزواتي وليس طفرات، صحيح أن الإبداع الفني المتميز قد يكون في إحدى لحظات هذه الطفرة ولكن في إحدى اللحظات التي تبدأ في الثامنة صباحا وتنتهي في التاسعة ليلا، هذه اللحظات قد تخرج عملا متميزا ولكن معناها أن تحاول منذ البداية.

●● كيف تنظر الدكتورة إنعام بيوض إلى مستقبل اللغة العربية؟

● أنا متفائلة جدا ، لأن لدينا أجيالا الآن أصبحت تتكلم اللغة العربية، الشيء الذي ينبغي أن نأخذ حذرنا منه هو أن لا ندع هذه الأجيال تدور وتنحني وترتمي في أحضان الغير، يجب أن نهتم بالطلبة الجامعيين، أنا أرى الآن أن الصحف العربية يقرؤها الجميع، سواء في المداشر أو حتى في العاصمة حيث نعتبر أنها معقل من معاقل الفرنسية. أنا مستبشرة بمستقبل زاهر للغة على أيدي هذا الجيل، ولكن على هذا الجيل مسؤولية أن يخرج اللغة العربية من براثن المتشبثين، إما أن يكونوا من أصحاب النقاء اللغوي أو المستهترين، وأن يعتبروا أن هذه اللغة من أجمل اللغات وأن يعتبروا أن شخصيتهم وفكرهم مرهونان بمدى تمكنهم من اللغة.

●● وما تقييكم لتظاهرة الجزائر عاصمة للثقافة العربية التي يقال أن الجزء الكبير من ميزانيتها صرف على الجانب الفلكلوري؟

● هناك أيضا مغالطات تحدث بالنسبة للأشخاص الذين لا يعرفون تكلفة التظاهرات الثقافية، هناك من يظن أن مجرد تنظيم حفل ساهر يعني أن تحضر شخصا يدق البندير وكفى، هناك أموال طائلة تصرف كلها على الأشخاص المشاركين، النقل والصوت... إلخ، المفروض أن الناقد يكون على معرفة بالجانب الذي ينقد فيه، ويعرف مختلف التكاليف، أنا مثلا أعرف كم تكلف ترجمة كتاب، وأستطيع أن أقول لك أن ترجمة كتاب قد تصل أحيانا من 7 آلاف إلى 12 ألف دولار، هذه ميزانية.

الفعل الثقافي دائما كان موضع نقد لاذع غير بناء، فعندما تنقد اقترح، وأنا متأكدة من أن هناك من سيسمعك، لماذا ننقد هكذا في الفراغ ؟من منا لديه عصى سحرية ويستطيع تغيير محيط ثقافي رأسا على عقب؟ لا أحد يملك عصى، هذه الأمور تتم على مراحل. لدينا هذه الفرصة لإظهار ما لدينا وهذا جميل، أنا كنت فرحة أنني عندما أذهب إلى أسبوع ثقافي أتعرف على مدن جديدة، وعادات وتقاليد متنوعة، أنا أعتبر أنهم قاموا بعمل جبار.

●● ما هو الشيء الذي لم تقله إنعام بيوض لحد اليوم؟

● الكلمة التي أود أن أقولها هي كلمة التسامح، وكيف نجعل الآخر يحترمنا، ونحترم الآخر، كيف نستطيع أن نحب بعضنا، وأن نتمنى الخير للآخر، كما نتمناه لأنفسنا، كيف نستطيع أن نتعايش مع الآخر رغم اختلافاتنا ، في هذا البلد يقطر قلبي دما عندما أرى هذا الجمال والطاقات وأرى أناسا وكأن البلد ليس بلدهم ، كيف نصل إلى مد العون، كيف نصل إلى حالة من التراضي، أن نقف وأن يعترف كل منا بخطئه ويتقبل أخطاء الآخرين، الكمال لله وحده وكلنا يسعى إليه، ولكن هذا البلد من حيث الطبيعة هو الأجمل في العالم، ومن حيث الطاقات الجزائري يعطيك القلب والكرم والطيبة. أحيانا النميمة والمناورات هي التي تجر هذا الشعب الطيب إلى متاهات لا يعرف مغبتها إلا من دخل فيها، أتنمى أن نقتنع جميعا بأن هذا الوطن ليس لنا غيره، وأننا شعب واحد ولنا مستقبل واحد سواء في الجزائر أو في العالم العربي.

● المعهد العالي للترجمة لايملك مقرا